

ألف حكاية وحكاية (١١٢)

عقلك فوق زجاج سيارة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم

نسيم

الناشر
مكتبة مصر
مركز البحوث والدراسات
شمارع كامل صديق - القاهرة
٥٩٠٨٩٢٠٠

الأطفال يتنقلون فوق العمارات

سألوا طفلاً: "كيف تحلُّ مشكلة الزحمة في الشوارع؟"
فرسم مجموعة من العمارات العالية، وبين كل سطح عمارة
وأخرى لَوْحَ خشبي طویل (سقالة)، انطلق فوقها طابور الأطفال،
يتنقلون بسعادة وحرية فوق أنحاء المدينة، بعيداً عن مخاطر
السيارات وهواء الشوارع الملوّث.

قالوا لهم: "لكنَّ الطفل قد يقع وهو يعبرُ من فوق عمارة إلى
أخرى، فالسقائل ليستُ عريضةً، ولا سور لها."
قال الأطفال: "الكبار هم الذين يسقطون!! أما الأطفال، فهم
خبراء في حفظ التوازن فوق الأماكن العالية، وعلى القناطر الخشبية
الرفيعة!!"

هذا ما تقوله إحدى اللوحات المعروضة في معرض رسوم كتب
الأطفال، في معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال، من رسم فنان
كاريكاتير عالمي، خصَّص المعرض جناحاً كاملاً لإنتاجه، منذ رسم
أول قصة بالرسوم المُسلسلة وعمره اثنتا عشرة سنة، إلى أن أصبح
الآن متخصصاً في رسم برامج أسطوانات الكمبيوتر (CD).

وإذا كان الناشرون من قارات العالم الخمس، هم الذين

يقدّمون في كل عام الجديد والمبتكر في عالم كتب الأطفال ، فإن
المُشرفين على المعرض، هم الذين يقدّمون للرّسّامين من فناني كتب
الأطفال ، كل إمكانيات تبادل الخبرات ، في شكل ورش عمل ،
تتميّز بالجديّة وارتفاع المستوى .



هل الطائرة لها ريش

في لقاءٍ مع عددٍ من مُشرفاتِ الحضانةِ ، استمعتُ إلى بعضِ
الأسئلةِ التي يسألها الأطفالُ ، الذين تقلُّ أعمارُهم عن خمسِ
سنواتٍ ، وأرجو أن تستمعوا معي إلى بعضِ هذه الأسئلةِ :
قالَ طفلٌ اعتادَ أن يُلقَى كثيراً من الأسئلةِ : " ما هو شكلُ
الشيطانِ ؟ وأين يوجدُ ؟ ولماذا يجعلُنا نعملُ الأعمالَ السيئةَ ؟"
وقالَ طفلٌ آخرُ : " أنا شُفْتُ في التلفيزيون رجلاً ضعيفاً ، أخذَ
حقنةً فأصبحَ قوياً .. أريدُ أن آخذَ حقنةً مثلهُ فأصبحَ قوياً ، لكي لا
تضربني ماما عندما أرفضُ الأكلَ ."





وقالَ طفلٌ ثالثٌ: "شاهدتُ هرقلَ في التلفيزيون يُحاربُ
ولا يموتُ أبدًا .. أريدُ أن أكونَ مثلَ هرقل ، وألبسَ ملابسَهُ."
وسألَ طفلٌ رابعٌ: "هل يوجَدُ بحرٌ فوقَ في السماءِ يأتي منه
المطرُ؟"

وسألَ طفلٌ خامسٌ: "كيف يدخلُ الناسُ الطائرةَ ، وأنا
أراها صغيرةً جدًّا ؟ وهل صحيحُ أنه يوجَدُ بها مطبخٌ وحمَّامٌ؟ وهل
لها ريشٌ مثلُ الحمامةِ تطلعُ به فوقَ في السماءِ ؟"
واعتادَ طفلٌ سادسٌ أن يسألَ: "لماذا لا توجَدُ عندنا سيارةٌ
أجئُ بها مع أُمِّي إلى الحضانةِ ؟.. عندما أكبرُ ، أهمُّ شَيْءٌ أن تكونَ
عندي سيارةٌ كبيرةٌ أُنزِهُ بها !! "

عالم من الكرتون

أطفالٌ من عمرٍ أربع سنواتٍ إلى اثنتى عشرة سنةً ، أمامهم
أكوامٌ من علب تعبئة البضائع ، المصنوعة من ورق الكرتون بلونه
البنيّ ، ومجموعةٌ من برطمانات حافلة بالألوان ، وفرش عريضة
للرسم ، ومقصّات ، وقاطعات ورق .

وفي نهاية يوم من أيام معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال
بإيطاليا ، ذهبتُ إلى " ركن الأطفال " ، فلم أعرف المكان الذى
رأيتُه فى الصباح .

لم أجد أكوام العلب ، بل وجدتُ عالمًا من الإثارة
والدهشة : أقنعة على شكل قطعٍ تضحك ، وشمبانزى يبكى ،
ومهرجًا يقفُ على رأسه ، وطيورًا خرافية .

رأيتُ بيوتًا نوافذها وأبوابها وجوهٌ مندهشةٌ أو حالمة .
وأمام حاجزٍ حافلٍ برسوم فراشاتٍ بألوانٍ ساطعة ، وقفتُ أتابعُ
الأطفال ، وهم يقدمون مسرحيةً بعرائس أبطالها مخلوقاتٌ فضائية ، لا
تتوقّف عن إلقاء الأسئلة !!

ثم وجدتُ قلعةً تعلوها أجهزةٌ فضائية ، وكوبرى على نهرٍ تسبحُ
فيه عرائس البحر وفي رؤوسها أجهزة إرسال .

سألتُ : " كم تكلف كلُّ هذا ؟ " قالوا : " لا شيء .. العلبُ من
مخلفاتِ " السوبر ماركت " . أما الألوانُ والفرشُ ، فهي هدايا من
آباءٍ وأمهاتٍ ، يحرصونَ على تنمية الخيالِ والإبداعِ والابتكار عند
أبنائهم ، بغيرِ قمعٍ ولا تسلُّطٍ ولا نقدٍ ، ولا سخريةٍ من أية فكرةٍ
جديدةٍ أو جريئةٍ أو غريبةٍ !! "



عقلك فوق زجاج سيارة

" لا تنظر لى بعين ردية ، بل انظر لى بعين راضية - هذه
الحلوة اسمها جمالات - ترجع بالسلامة يا حبيبي " . هذه بعض
العبارات التى نقرأها هى وأمثالها على جوانب ، أو فوق زجاج ،
بعض سيارات الأجرة أو النقل فى شوارع القاهرة .
و الآن تعالوا نتأمل بعض العبارات التى جذبت انتباهى بشدة ،
قرأتها مكتوبة فوق زجاج عدد كبير جداً من سيارات نيويورك
وواشنطن :

" كلنا عائلة واحدة تظللنا سماء واحدة - التسامح أن ترى



بقلبك بدل أن ترى بعينك - عقلك أقوى ما عندك من قوة - كل فرد يكسب إذا عمل مع فريق - أهم أدوات النجاح أن تؤمن بأنك ستنجح - فكر فيما هو صواب ولا تفكر فيما هو الذي على صواب - لن تعرف أبدًا قوة قدرتك إلا إذا تحوّلت الأقوال إلى أفعال - في عالم ملآن بالأتباع حاول أن تكون قائدًا - حياتك لا تنتهي إذا خسرت .. إنها تنتهي إذا أصابك اليأس . "

رأيت هذه العبارات و أمثالها مكتوبةً بالألوان ، و بخط واضح ، وأحيانًا مع رسوم جذابة ، وبهذا جعلوا من السيارات التي يراها الكبار و الصغار آلاف المرات كل يوم ، وسيلةً دائمةً لبناء الإنسان ، و للتنشئة الاجتماعية السليمة .



دراجة في طرقات المطار

صاحَ الطفلُ عندما شاهدَ موظفَ المطار يركبُ الدراجةَ الصغيرةَ : " هذه للأطفال .. أريدُ ركوبَ الدراجةِ . "

وحاولتِ الأمُ إسكاتَ ابنها الذي لا يزيدُ عمرُهُ عن أربعِ سنواتٍ ، لكنَّ الابنَ جرى فاحيةَ الرجلِ صاحبِ الملابسِ الرسميةِ الأنيقةِ القاتمةِ اللونِ ، وأمسكَ بالدراجةِ وهو يهتفُ قائلاً : " أريدُ أن أَلعبَ بها .. " ذلك أن كلَّ مَنْ يعملون في مطار فرانكفورت الدوليِّ ، يستخدمونَ دراجاتٍ مُنخفضةً ، للتنقُلِ بين أجنحةِ الركابِ المتسعةِ الكثيرةِ .



و أمامَ صِيحاتِ الطفلِ ، ظهرَ شيءٌ من الحيرةِ على وجهِ الرجلِ ، ثم تَوَقَّفَ عن السيرِ بدراجتهِ خوفاً من إصابةِ الطفلِ إذا ازداد تشبُّهُه بالدراجةِ . وأسرعتِ الأمُّ تمسكُ ابْنِها ، ليتركَ الرجلُ يهتمُّ بواجباتِ عمله .

لكنني فوجئتُ بالرجلِ ينزلُ عن دراجتهِ ، ويتناولُ الطفلَ من أمِّه ، ويضعُهُ فوقَ مقعدِ الدراجةِ ، ويسيرُ به في دائرةٍ وسطَ مكانِ الانتظارِ وهو يقولُ للأمِّ ضاحكاً : " عندما كنتُ صغيراً ، تمَنَّيتُ كثيراً ركوبَ مثلِ هذهِ الدراجةِ . و من حقِّ ابنك أن لا ينتظرَ مثلي خمسةَ وعشرين عاماً ، حتى تتحقَّقَ أمنيتهُ !! "



لا تستغنوا عن الإطارات القديمة

عند الظهر ، سألوا الأطفال : " ما الذي يُمكن أن تتخيلوه بالرسم ، إذا أعطيناكم عددًا من إطارات السيارات المُستغنى عنها ؟ " وفي نهاية اليوم ، كان الأطفال قد رسموا إطارًا مربوطًا به حبلان مُعلقان في فرع شجرة ، وقد ركب فوقه ولدٌ " ثُمَرَجَحُهُ " أخته .

و رسموا عددًا من الإطارات ، كلٌ منها مُلتصقٌ بالآخر على شكل نفقٍ ينحني عدة انحناءات ، و الأطفال يدخلون من ناحية و يخرجون من الناحية الأخرى .

و رسموا عمودًا من الإطارات بعضها فوق بعض ، فأصبحتُ بئرًا ، ينزلون فيه و يصعدون منه .

و رسموا عددًا من الإطارات تمّ تشبيهُها واقفةً على الأرض ، يبعدُ كلٌ منها مسافةً عن الآخر ، و الأطفال يقذفون بكرّة ، لتمرّ من خلال الإطارات واحدًا بعد الآخر .

و رسمَ طفلٌ شارعًا امتلأ بماء المطر ، و الناس قد وضعوا الإطارات بجوار بعضها بعرض الطريق ، ليعبروا فوقها ، فلا تبتل أحذيتهم .

و رسمَ آخرٌ أحدَ النمرور ، يقفزُ في السيرك داخل إطار مُشتعل .

أما أعجبُ الابتكارات ، فكانت لطفلٍ رسمَ شجرة ، ثمارها

عجلات من المطاط الملون !



ثم رسمَ طفلٌ آخرُ عددًا من الإطاراتِ ، كلٌّ منها يرتكزُ على
حافةِ الإطارِ الذي تحتهُ ، ونباتاتٍ مُتسلِّقةٌ صفراءُ ، زهورُها حمراءُ ،
تلتفُّ حولها ، صاعدةٌ نحو السماءِ ، إلى أن تختفيَ في السحابِ !

فتاة فوق عربة حقائب

ما إن جلست الأم على أحد مقاعد الانتظار في مطار فرانكفورت الدولي بألمانيا، تنتظرُ ميعادَ الطائرة التالية التي تستأنفُ بها سفرها إلى أمريكا مع ابنها وابنتها، حتى أسرعَ الطفلانُ ينزلانِ الحَقائبَ من فوق عربةِ نقلِ الحَقائبِ، التي يستخدمُها المسافرون في المطارات. وركبتِ الأختُ فوق العربة، وبدأ الأخُ يدفعُها، والاثنان يتصايحان في بهجة.

وفجأةً دفعَ الصبيُّ العربةَ بسرعةٍ وقوةٍ، وقد تصوّرَ أن في هذا نوعاً من المداعبةِ لأخيه، لكنَّ قدمَ الأختِ انزلقتُ بين قضبانِ قاعدةِ العربةِ، فصاحتُ من الألم.

وفزعَ الولدُ وقد أحسَّ أنه ارتكبَ خطأً كبيراً.



وتوقَّعتُ أن تصفعَ الأمُّ ابْنَهَا ، أو تزعقَ فيه مُؤثِّبَةً لَّأنه تَسبَّبَ في
إصابةِ أَخْتِهِ ، أو أنها ، على الأقلَّ ، ستجذبُهُ ليجلسَ بجوارها ويبقى
بغيرِ حركةٍ !! ..

لكن شيئاً من هذا لم يحدثْ ، بل وجدتُ الأمُّ تتصرَّفُ بهدوءٍ ،
وهي تنظِّفُ بمنديلٍ ورقيٍّ الخدشَ البسيطَ في ساقِ ابْنَتِها ، ثم
تقولُ لابْنِها وهي تدفعُهُ ثانيةً برفقٍ مع أَخْتِهِ ناحيةَ عربةِ نقلِ
الحقائبِ :

" استأنفِ اللعبَ مع أَخِيكَ ، لكنْ كنْ أكثرَ حذراً في هذه
المرَّة . "

وعادتْ ضحكاتُ الفتى وَأَخْتِهِ تُجْلجلُ من جديدٍ ، وقد أصبحَ
التمتُّعُ بمراقبتِهما تسليةً معظمِ المنتظرينَ .



كلُّه غلط .. غلط !!

أميرة طفلةٌ عُمُرُها ثلاثُ سنواتٍ ، كثيراً ما تذهبُ إلى والدتيها وتقولُ : " انظري يا ماما .. أنا عملتُ هذا العمودَ بالمكعباتِ . " أو تسألُها مثلَ هذا السؤالِ : " لماذا لا يحترقُ عودُ الكبريتِ إلا إذا احتكُ بالعلبة ؟ " أو " هل تعرفينَ يا ماما أنني أستطيعُ أن أقفزَ من فوقِ المقعدِ إلى الأرضِ بغيرِ أن أقعَ ؟ "

وفي كلِّ هذه الحالاتِ ، لم تكنِ الأمُ تُجيبُ بشيءٍ ، بل تتظاهرُ بأنها لم تسمعْ ، وتقولُ لنفسِها : " تكفيني مشاغلُ البيتِ ، فليستُ عندي قدرةٌ لأهتمَّ بمثلِ هذه الأشياءِ الصغيرةِ التي تقولُها أميرةٌ أو تعملُها . "

أما إذا سقطَ بعضُ الطعامِ على فستانِ أميرةٍ ، أو سقطَ منها كوبٌ على الأرضِ فانكسرَ ، أو وقفتُ أميرةٌ أمامَ الحوضِ تلعبُ بالماءِ ، فإن الأمَ تتركُ كلَّ ما يشغلُها ، لتصيحَ بعنفٍ في الصغيرةِ : " هذا غلط .. غلط ! " "

وذاتَ صباحٍ ، كانتُ أميرةٌ تشربُ اللبنَ ، وعندما أرادتُ أن تضعَ الكوبَ فوقَ المائدةِ ، اهتزَّت يدها ، فانسكبَ اللبنُ . وكعادةِ الأمِ انطلقتُ تصيحُ : " غلط .. غلط !! " ، وفوجئتُ الأمُ بابنتيها تصيحُ بنفسِ طريقتها : " كلُّه غلط غلط ؟! .. لا يوجدُ شيءٌ صحَّ صحَّ ؟ ! " "